(المنقة بالشطة)

عندما كنا صغاراً... كنا نتناول الأطعمة، وعلى اختلاف أشكالها، وبأنواعها المتعددة، في نهم قل ما نشاهده الآن... كنا نحن وعلى صغر سننا... نميز الأطعمة المختلفة، إما بشكلها، وإما بمذاقها، وإما برائحتها، وإما بملامستها...

فمنها الذي يستهوينا أكثر... ومنها الذي نتحاشاه، أو ذلك الذي نتناوله بحذر... لأنه قد يكون مر المذاق... أو قد يكون **(مسيخاً)..** يقل فيه محتوى المواد السكرية، أو قد يكون ذا طعم لاذع... تشبّع بالحوامض، أو ذا رائحة نتنة أحياناً... **(زي الملاح البايت)** زمن مافي **(تلاجات)** ومبردات، أو زي **(الربيت)** القديم... وإلى غير ذلك من المواصفات المحسوسة... التي تدركها حواسنا الخمسة... وهي اللمس، والشم، والذوق، والبصر، والسمع...ولكل، وكما تعلمون، أدواته المعروفة.

كنا نرى ما يعجبنا فنتناوله... وما لا يعجبنا من الأكل أو الشرب فنتفاداه، إلاّ ما قد تمليه علينا الضرورة، و كنا نسمع بآخر دون أن نشاهده فنتناوله...حسب ما نتملكه من معلومات عنه، أو نتجنبه عندما ندركه أي عندما يمثل أمامنا... كنا نعتمد في ذلك التشخيص على التجربة، والخبرات المتراكمة، التي لم يستخدمها أهل التعليم عندنا... في الماضي أو في وقتنا الحاضر... وعلى قلتها.

ومن الأطعمة والمشروبات... ما يمكن لنا أن نحصل عليه بسهولة ويسر... وبعضها قد نبذل جل جهدنا... كي نظفر به، و **(كمان)** كنا نعرف المواسم المختلفة، التي تتوافر فيها أطعمة معينة... فننساق إليها.. قريبة كانت أم بعيدة... **(زي المليص)** الذي يظهر في أواسط الخريف...و **(الحمبك)** و **(الفقوس)** أيضاً... ونتحاشى **(الحنضل)** كثيراً، لأنه يتشابه و **(القاعون)**، في الشكل، أما في المضمون فالبون شاسع... وفيما يتعلق **ب..(العنكوليب)** و **(العدار)** فهم **(أولاد عم)** و **(الاتنين)** **(بروس)** في الغالب، لكن عن طريق الخبرات كنا نفرق **(بيناتهم)** فورقة **(العنكوليب)** **(بحرا أخضر)** أما ورقة **(العدار)** والذرة السليمة... **ف..(بحرا أبيض)** **(شوفوا الخبرات دي كيف.. عند الأطفال زمان)**.

كنا نظفر أيضاً **(بأم جغوغة)** في موسم حصاد السمسم، وبسلطة **(المولیتا)** في الخريف، وشتان ما بينهما عند التذوق... ومعظم ما نتناوله والحمد لله من الأغذية،

ليس له أعراض مصاحبة... إلا ما قد يكون **(وردة)** بكسر الواو، خفيفة، **تحدد ب..(لمس الجسم وبس)** ، أو حتى لو كانت **(أم سهيريج)** أو **(قحة)** فلم نكن نبالي منها... لأنها زائرة عادية... يمكن تجاوزها **ب..(المسوح)** بزيت السمسم الدافئ... أو **(برش)** بفتح الباء وتسكين الراء، الجسم بالزيت المخلوط **ب..(الملح الدراش والشاي الأزرق)...** وقد تقول الأم دائما عندما تسأل عن حال **(ولدا)** : **(الولد جاتو وردة برشناه بالزيت والملح.. حتى قدر ينوم)**... أو حتى **(أم قنطو)** والتي يمكن علاجها **(بى لبن الحمير)...**في شكل جرعات **بى..(الفنجال) أو بى (كباية الشاي..عثمان حسين)...**والذي هو اليوم أغلى أنواع الألبان في المكسيك... أو قد يصاب الصبية ب**...(ملي البطن)** ويتغلب عليه الأهل بشراب لبن الإبل... الذي أصبح اليوم علاجاً موصوفاً... من قبل الجهات الصحية، أو قد نصاب **ب..(وجع العيون)**... الذي يعالج **بى..(الشاهي المر)** في شكل قطرات بالعين...أو **بى..(الفصيد)** في **(المداغات)**، أما **(أم صريرة)** فتعالج **بى..(الفصيد) أيضاً في ما حول (الصرة)...**

أذكر مرة ..ونحن في طريقنا **لى..(الحواشات)** حيث كنا نعيش وسط مزارعنا، ومعي أخي وصديق الطفولة... فتح الرحمن ود بشير ود الشفيع... وسليمان ود الزين... وسليمان ود الفرجة...والنور ود عبد الحميد... الكل قابع على صهوة **(دحشه)...** لم تتطور بنا الحال بعد...لاستخدام **(الحُمار)...**فهو للكبار فقط، تعثر **(دحشي)** الذي اخترت له اسم **(النّعير)**... فسقطت من على ظهره... فوق **(قزازة)** بيضاء فارغة، سعة رطل و **(نص)** بالتمام والكمال... كنت أحملها معي، ف**..(انكسرت) (القزازة)** جراء ارتطامها بالأرض...فمزقت بعض من **(كسرها)**.. **(الجلابية الفتح)**، عند منطقة البطن، فأحدث ذلك جرحاً دامياً...

نزل الصبية الصغار من على ظهور حميرهم... وشاهدوا الدم يسيل، فانبرى سليمان ود الزين للأمر... وأنزل عمامته الصغيرة من على رأسه.. وهو يردد كلمة لا زالت **(معشّشة)** تدور في خلدي.. **(أنبعج)**.. لف سليمان مكان الجرح... و **(درجه)** تماماً بالعمامة الصغيرة... ليوقف نزيف الدم...

فيا ترى من علم هذا الطفل... تلميذ الصف الثاني الابتدائي.. ليتصرف مثل هذا التصرف...؟ يبدو لي هو **التدريب مع الخبرة السابقة...** وهي التي لم يتمكن من

يتعاطون التعليم في وطننا، من استخدامها، وعلى قلتها عندهم... سار بي الركب كله على مهل... كي لا يساعدوا في إراقة دم أكثر... بعد أن اتفقوا علي تبني هذا السلوك الطبي المرغوب... فيا ترى من علم هؤلاء الصبية أن يتصرفوا كذلك...؟ فإنها وفي الغالب... نتاج تدريب وخبرات متراكمة، وهي ذاتها التي يعيا مسئولو التعليم عن تطبيقها... وعلى قلتها عندهم...

أوصلني زملائي إلى منزلنا... ونشروا الخبر **ب..(رواقة)** وحكمة.. توحيان لوالديّ، عليهما رحمة الله، بأن الأمر **(بسيط)** وما **(بستاهل)** الشفقة... وهنا تتجلى تصرفات الرجال...

أذكر أنَّ **(عمة)** سليمان أزيحت عن بطني... وخُلعت **(الجلابية الفتح)** من جسمي الهزيل، بطريقة رقيقة.. وحذرة، بواسطة والدي... والصبية ينظرون باهتمام بالغ**...(لاكتساب خبرات جديدة)**... وهنا ظهر الجرح، فكان خفيفاً ومن غير دم يسيل...وقد نظرت إليه بعد أن **(حنيت رقبتي لى قدام)**...حمد الجميع ربهم على السلامة.. ولكن يا ترى ماذا كان من أمر العلاج؟

تم مسح مكان الجرح بزيت سمسم دافئ... ومن ثم جيء **ب..(فنجال)** فارغ ...تم تعريضه **لى..(جمر) (منقدنا)** الصغير...وعندما أصبح داخله دافئاً.. **(كفوه)** على مكان الجرح عدة مرات...وبذلك انتهى كل شيء.. ولبست على الفور **(العراقي)** الاحتياطي... وبدأت نشاطي العادي.

(شوف) عزيزي القارئ أطباء الأمس **ب..(الجربندية)** وبعض أطباء اليوم **(خريجو الجامعات)...** وبالمقارنة فإن أطباء الأمس، كانوا مجودين ومهتمين شوية**... و (كمان ما في نفقات يقولوا عليها.. لا في الكشف ولا في الدوا)...** وتطبيبهم في ذات الوقت جاء ناتج التدريب والخبرة... فهل يا ترى أدلت الجامعات بدلوها في هذا الذي نتناوله؟ أنا لا ألوم أطباءنا... ولكن أنحي بالّائمة على من هم يقفون على ناصية قر ار الإنجاز... الذي كان يجب أن يكون سليماً منذ بدايات استقلالنا.

كنا في اجتماع ضم عمداء كليات التربية، في بخت الرضا، واتفق العمداء جميعاً على أنّ تدريب الطالب/المعلم... **(ما تابع ليهم، هم بس يخرّجوا الطالب..ويسلموه شهادته)**... وتقوم بعد ذلك المؤسسات التي سينتمي إليها بتدريبه **..(اللهم لا تمحنا ولا تبلينا زي ما قال البعاتي... في نخنخته المعهودة)...دا دليل أنو الجامعات (بتخرج وبس.. والداير يدرّب اليدرّب.. والما داير على كيفو)..**

عندما كنا صغاراً **(زي ما قلت) (بنتخير)** الأكل حسب الخبرات المتراكمة لدينا... وكنا لا نخلط أبدا مابين ما هو **(سكري)** مع نغيضه... لكن وبمروري الكثير على الجامعات، فقد شاهدت أمراً غريباً... فالطالبات بالذات يتناولن **(المنقة الخضرة بالشطة)، و (الكلام دا جديد علينا)**... ما وصل مرحلة يكون خبرات متراكمة... **و(كمان بيتناولنّها)** بشراهة.. وشغف.. **و (مدافرة)**...من بائع يحتاج هو نفسه و **(درداقته)** و **(سكينو)** لغسيل ونظافة دقيقة... فإذا لم يكن لدى الطالب إحساس بما يتناوله حسب مذاق الأطعمة... فكيف يتسنى له الإحساس، بتلقف والتقاط المعلومة.. وتقليبها داخل عقله؟ ومن ثمّ فهمها...**(ففهمه)** كله، على ما أظن، مربوط بين أسنانه... فهي لا تفترق عن بعضها البعض إلا عندما **(يتوحوح)** من الشطة... وينهي **(الوحوحة)** بى : **(آآآآح...حلوة والله)**... الحلا ويني يا جماعة الخير؟... الحاجة الحلوة هي دايما **(البتمطقا)** الزول، لكن الحاجات المالحة شديد زي الملح... والحارة زي الشطة... والمرة زي القرض... ما ممكن تكون حلوة على الإطلاق...

أثيوبيا مشهورة بالشطة الحارة.. والحارة جداً... ولأني محروم من الشطة طلبت من دكتور بجانبي.. كنا نترافق في أداء مهمة ما بأثيوبيا... أن يتذوق الشطة التي هي أمامي في أحد المتاجر لشرائها... وذلك عندما سألت صاحب المتجر.. عما إذا كانت حارة أم باردة.. فأشار إليّ أن أتذوقها... وضع الدكتور...الذي كان يحب الشطة كثيراً، إصبعه على مسحوق الشطة التي أمامه... وتذوقه، ولم يجبني على سؤالي... فظللت أسأله مردداً...حارة ؟حارة؟ حارة يا دكتور؟... لم يتحدث معي، لكنه وضع إصبعه على **(صنقورو)**، أعلى رأسه منطقة **(النافوخ)**، إشارة على أنّ حرارتها وصلت هنا... كم أنت ساخنة أيتها الشطة الحبشية...فقد ألجمت لسان الدكتور.

www.omeralamin.com

تذكرت ذلك عندما رأيت طالباتنا يأكلن **(المنقة الخضرة)** بالشطة **(القبنيت)...**في بعض الأحيان... فالأمر إذن يتعلق بالدماغ... فربما يكون ذلك أحد العوامل التي تدفع لتنقيته... ليساعد في الاستيعاب لديهن... المهم الحرية مكفولة في الأكل **(وكل زول ياكل اليعجبه)..** فقط المطلوب الإلمام المعرفي بخصائص ما يأكله... ولا يتأتى ذلك إلاّ من خلال معطيات المنهج الحياتي السلوكي للفرد... سوى أن كان في المدرسة أو في المؤسسات المجتمعية.

فإذا كان المتعلم **(ما قادر)** يفرق ما بين المصطلحات الحياتية العادية... فكيف بربك يصبح عالماً؟ فكلمة حلو أصبحت توصف بها حالات كثيرة **(الضل دا حلو حلا)** و **(الزول داك تعاملو حلو شديد)** و **(حلاة النومة في الضحوية)** و **(جلستكم والله كانت حلوة)** وكثير جداً من **(الحلاوات)** التي ليست لها مصادر...

هذه يا الرفيع أخوي... ويا إخوتي و أبنائي وبناتي ... بعض أزمات اللغة عندنا... عشان كدا زي ما قلت أنت يا الرفيع ... نحنا ما قادرين نوضح ونبرز ما يدور بخلدنا لغيرنا... فأزماتنا تتولد من سلوكنا.. الذي لم تراع فيه مناهجنا التعليمية... منذ استقلالنا... أبسط القواعد التي يمكن أن ندير بها نشاطات حياتنا...

كان من الممكن ولا أقول من المفروض... أن نبدأ تخطيطنا لمناهجنا من حيث وقف بنا أجدادنا وآباؤنا... مثلما بدأتُ بسرده في مقدمة هذا الحديث... بتلك العفوية التي شاهدتموها، لأن تلك المرحلة هي كانت القاعدة الصلبة للانطلاق..وهي التي ستساعد كثيراً ...في أن تختط مناهج متكاملة... من صميم البيئة السودانية، بكل مفارقاتها، الاجتماعية والثقافية... ومن ثم العمل على تنقيحها وتطويرها... كلما دعت الضرورة لذلك...

إنه ومن وجهة نظري الخاصة... ولكي نؤسس، ونخطط لوضع مناهج، ترضي طموحات الأمة... فمما يقع في طائلة الضروري، والمهم... فقد وجب علينا أن نضع في الحسبان مواقف ثلاثة ..

www.omerjammas.com

الموقف الأول:

تحديد نقطة البداية... تلك التي تنطلق من مخزون الأمة الثقافي... والتجارب المتراكمة...والوقوف على تفتيت جوانبها الإيجابية، والسالبة، وتحديد مدى الاستفادة منها... واعتمادها كبداية لمنطلق جديد للوضع السليم للمنهج التربوي والتعليمي..

الموقف الثاني:

الوقوف على الوضع الآني في مسيرة الأمة الثقافية... وتقليب مآلاتها المتعددة، بعين الخبير الفاحصة...للكشف عن بواطنها... وتحديد مدى ما تميزت به من تطور.. وترقي.. وتجديد.. مقارنة بالماضي...وما قد تعلق بها من الإيجابيات المفيدة.

الموقف الثالث:

يتعلق هذا الموقف... بالنظرة المستقبلية بعيدة الأمد... في المسارالثقافي، و الاجتماعي، و التربوي/التعليمي...للأمة ذات الهوية الموحدة، والأهداف الواعدة... مع تعهدها بالعمل المتقن و الجاد... في سبيل إرساء قواعد مجتمعية سليمة... وبلوغ أهداف.. تساعد في صياغة حياة مجتمع مواكب، ومتطور، ورائد.

من المحتمل جداً أن يكون واضعو المناهج التربوية/ التعليمية... في حقبة ما...قد انتبهوا لهذه المواقف... التي أثرتُها، لكنّ الرؤى المتداخلة والانتماءات المتشتتة... أودت بكل ما هو إيجابي، ولم تخلف لنا من هذا السيل... إلاّ الغثاء، والزبد، الذي ذهب جفاءً...فظللنا نجرب.. ونجرب.. ونجرب، فالعلم ظل يُطمس من وراء ظهورنا كالأبجدية... ونظل كما هو حالنا.. كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى...

لقد كانت بخت الرضا لنا... مثالاً يحتذي...

وأملاً يرجى...

لكننا وبإرادتنا تنحينا عنها.

www.omeredammas.com

نسأل الله التوفيق ،،،،

www.omerelammas.com